الفهم الفلسطيني لهزيمة حزيران

بلال الحسن

من الامور(١) التي أصبح الاتفاق عليها كاملا ، ان هزيمة الخامس من حزيران قد اسقطت مفاهيم كثيرة كانت سائدة سيادة البديهيات في الواقع العربي . وأصبح حتى المواطن العادي يدرك ان متطلبات المواجهة العربية ــ الاسرائيلية تحتاج الى تغييرات عميقة في الواقع الاقتصادي والعسكري والسياسي .

في عام ١٩٤٨ ، ساد الانطباع نفسه ، وكانت له نتائج خطيرة جدا ، أدت الى سقوط أكثر القيادات التي تعاملت مع القضية الفلسطينية آنذاك ، ولم يكن سقوط تلك القيادات التي تعاملت مع القضية الفلسطينية آنذاك ، سقوط أفراد ، ولم يتم في لمحة عين ، بل كان سقوطا لطبقة كاملة من مركز القيادة ، حلت مكانها عبر صراع عنيف (اضطهاد الحركة الوطنية ــ الانقلابات ــ كبت الحريات العامة) طبقة جديدة ذات سمات وطنية واضحة ، خرجت من قلب المؤسسة العسكرية ، المؤسسة الوحيدة التي كانت ولا تزال قادرة على التحرك لتغيير الاوضاع بسرعة في عالم الدول النامية . أما هزيمة ١٩٦٧ فقد اوجدت نفس المناخ الجماهيري الذي يدرك ضرورة التغيير من اجل تأمين شروط افضل للمواجهة ، ولكن ظروفا متشابكة عديدة أدت الى قيام ما يمكن تسميته بمرحلة الانتظار ، انتظار تحقيق وعود كثيرة قدمت ، ومن ابرز هذه الظروف بناء الجيوش العربية ، والجو العسكري المتوتر لفترة طويلة على قناة السويس ، وبروز حركة المقاومة الفلسطينية والتفاف الجماهير حولها وانتظار المعجزات منها ، كذلك فان العلاقات الوثيقةالقائمة مع الاتحاد السوفياتي لعبت دورها في هذا المجال ، وسمحت بوجود رئة دولية يتنفس منها المواطن العربي ، وهو العامل الدولي الذي كان مفقودا عام ١٩٤٨ . وتوشك حاليا مرحلة الانتظار على الانتهاء وهي تقترب من نهايتها دون أن تحمل للمواطن العربي المفجوع بالهزيمة دلائل مشجعة على امكان تنفيذ الوعود التي قدمت . فهو بدلا من ذلك يرى في كل يوم اندفاعات جديدة نحو التسوية السياسية التي قبلها في البداية « كتكتيك » وقبلها « بشروط » . ولكنه يواجهها الان « كنضال سياسي » وبدون « شروط » . وليس من الممكن حتى الان ، تقييم النتائج « الواقعية والعملية » لهزيمة حزيران ، قبل أن تنتهي مرحلة الانتظار هذه . ولكن يمكن القول سلفا ان القانون الطبيعي الذي يرافق الهزائم ، العسكرية أولا ، ثم نتائجها السياسية ثانيا ، لا بد ان يسود ، وهو بالبداهة لا يسود بالمنطق المجرد ، بل عبر صراع طبقي عنيف .

وقد كانت للخامس من حزيران على الصعيد الفلسطيني بالذات تأثيرات هامة ، فقد كان العلامة الفارقة التي أنهت منطق « العمل الفلسطيني » للتحرير من خلال الاندماج في المؤسسات الوطنية العربية فقط ، سواء كانت انظمة او احزابا ، وابرزت بالاضافة اليه واحيانا بديلا عنه منطق « الدور الفلسطيني الخاص » . صحيح ان « حركة فتح » نادت بالدور الفلسطيني الخاص منذ عام ١٩٦٠ (بداية صدور مجلة فلسطيننا) ومارست